**الحالة السياسية في نجد بعد ضم القصيم**

**معركة البكيرية 1322هـ**

أثناء إقامة الأمير عبد العزيز بن متعب آل رشيد في العراق من أجل التمون وطلب المدد من قبيلة شمر والعون من الدولة العثمانية بلغه خبر خروج القصيم عن سلطته في الشهور الأولى من عام 1322هـ. ويبدو أن الدولة العثمانية قد رأت في خروج معظم مناطق نجد عن سلطة ابن رشيد ودخولها تحت سلطة ابن سعود تهديداً لوجودها في المنطقة، ولذا وافقت على مساعدة ابن رشيد بالعدد والعتاد. ولما علم ابن سعود بتحرك ابن رشيد نحو القصيم وحصوله على أسلحة عثمانية وجنود نظامية بعث إلى جميع أتباعه من الحاضرة والبادية مستنفراً. التقى الطرفان قرب بلدة البكيرية، وبدأ القتال مباشرةً بين الطرفين، وقد كان جيش ابن رشيد مواجهاً لجيش ابن سعود ومن معه من أهل العارض والأقاليم الجنوبية من نجد، أما أهل القصيم فقد كانوا في موجهة الجيش النظامي العثماني. نجح جيش ابن رشيد بإحراز تقدم كبير، فانهزم جيش ابن سعود، وفي المقابل كان أهل القصيم يحرزون تقدماً على حساب الجيش العثماني دون أن يعلموا بما حدث لجيش ابن سعود. بعد فرار جيش ابن سعود من أرض المعركة وهزيمة جيش ابن رشيد بقي أهل القصيم لوحدهم في ميدان المعركة، فأسروا العديد من الجنود النظاميين وغنموا الكثير من الأموال والأسلحة، ولكنهم تركوا الأسرى والمدافع في ساحة المعركة وعادوا إلى بلدانهم. كانت خسائر الطرفين كبيرة، فابن رشيد خسر عدداً من أهم قادته وفرسانه ولعل أبرزهم ماجد الحمود آل رشيد، وكان أكثر القتلى من جيش ابن سعود ومن القوات النظامية العثمانية.

وصل ابن سعود ومعه بعض أتباعه إلى بلدة المذنب، أما البعض الآخر فقد توجهوا إلى عنيزة حاملين معهم أخبار الهزيمة. وقبل منتصف الليل وصل رسول من أمير غزو عنيزة إلى أميرها يبشره بانتصار أهل القصيم على ابن رشيد. أرسل أمير عنيزة لابن سعود يخبره بانتصار أهل القصيم ويطلب منه العودة إلى عنيزة، لكن ابن سعود ظن أن في الأمر مكيدة لأنه قد عاين الهزيمة بنفسه. حينئذ أرسل أمير عنيزة رسالة أخرى لابن سعود وبعثها مع رجلين يثق بهما ابن سعود ثقةً مطلقة وهما عبد العزيز بن جلوي وشلهوب، فتأكد حينها ابن سعود من صحة خبر انتصار أهل القصيم وقدم إلى عنيزة.

تجمع فلول المنهزمين من جيش ابن رشيد قرب بلدة الشيحية. ولما بلغ ابن رشيد خبر بقاء الجيش النظامي بمدافعه في ميدان المعركة تحرك سريعاً نحو البكيرية. فنظم جيشه مجدداً وتوجه إلى بلدة الخبراء التي كانت قريبة منه، فطلب من أهلها أن يدخلوا تحت طاعته، ولكنهم أبوا، فضرب البلدة بالمدافع وقطع نخيلها، ورغم ذلك صمد أهلها. ورغم صمود الخبراء إلا أن البكيرية سقطت في يد ابن رشيد، فلما رأى ابن سعود أن ابن رشيد بدأ بالاستيلاء مرةً أخرى على بلدان القصيم، نظم جيشه مجدداً للقاء ابن رشيد وعسكر في الرس بينما ابن رشيد كان معسكراً في الشنانة، وبقيا على تلك الحال لمدة شهرين تتخلله بعض المناوشات بين الطرفين. فلما طال معسكر الفريقين، بعث ابن سعود فهد العلي الرشودي -أحد وجهاء بريدة- ليفاوض ابن رشيد حول الصلح، فرفض الأخير العرض. فحدثت مناوشات طفيفة بين الطرفين انتهت بانسحاب الجميع من القصيم.

**الحالة السياسية في القصيم بعد معركة البكيرية**

رغم أن ابن رشيد قد هزم في معركة البكيرية، إلا أن ابن سعود يعلم تماماً أن الدخول في صراع مباشر مع الدولة العثمانية لن يكون في مصلحته في ذلك الوقت، فبعث إلى والي البصرة رسالةً يظهر فيها حسن نواياه تجاه الدولة العثمانية. كانت الدولة العثمانية في نفس الوقت مدركة لسير الأحداث في نجد، وواعية لكون أهل نجد لا يميلون لحليفها ابن رشيد. فبعثت قوةً من العراق بقيادة المشير فيضي باشا، وقوةً أخرى من المدينة النبوية بقيادة صدقي باشا، وتوجه الاثنان إلى القصيم. أرادت الدولة العثمانية من خلال إرسال تلك القوات أن تكون المناطق الواقعة إلى الجنوب من القصيم تابعة لابن سعود، وأن تكون المناطق الواقعة شمال القصيم تابعةً لابن رشيد، وأن يكون القصيم مستقلاً عن الطرفين وخاضعاً مباشرةً لسلطة الدولة العثمانية التي ستترك فيه حاميتين عسكريتين إحداهما في بريدة والأخرى في عنيزة. وصل المشير فيضي باشا إلى القصيم في أوائل سنة 1323هـ، والتقى بأمير بريدة صالح الحسن المهنا وعرض عليه مقترح الدولة العثمانية، فأبدى أمير بريدة استعداده بأن يكون تابعاً للدولة العثمانية مستقلاً عن ابن سعود وابن رشيد. أما أمير عنيزة عبد العزيز بن عبد الله آل سليم فقد طلب الرجوع لابن سعود قبل اتخاذ أي قرار حين عرض عليه المشير اقتراح العثمانيين. وصل الإمام عبد الرحمن الفيصل إلى عنيزة، ولما عرض عليه المشير مقترح الدولة رفضه الإمام. حينئذٍ طلب المشير فيضي باشا أن يرفع العلم العثماني في بريدة وعنيزة على أقل تقدير مؤقتاً.

وقبل نهاية سنة 1323هـ خرج ابن رشيد متوجهاً نحو سدير، فلما وصل المجمعة تمون منها وعاد متجهاً شمالاً. فلما وصل إلى روضة مهنا -بالقرب من بلدة الربيعية- نزل فيها وكان ذلك في شهر صفر من عام 1324هـ. لما علم بمكانه أتباع ابن سعود وأهل القصيم تحركوا نحوه، وكانوا يسرون في الليل لئلا يعلم بهم. ولما شعروا بأنهم أصبحوا قريبين منه بعثوا بسرية تحت جنح الظلام تسبر مكانه، لكن هذه السرية وجدت نفسها فجأة قريبةً جداً من معسكر ابن رشيد، فسمعوا صوتاً قريباً جداً منهم يقول: "من هان يالفريخ؟". وكان يعلمون أن المرافق الشخصي لابن رشيد اسمه "فريخ" فعلموا بأن السائل ابن رشيد بنفسه، فانقضوا عليه وقتلوه وانسحبوا سريعاً.

بعد القضاء على عبد العزيز بن متعب آل رشيد رأى ابن سعود أنه لا بد من إبعاد صالح الحسن المهنا عن إمارة بريدة بسبب مواقفه المعارضة لرؤية ابن سعود. وبالفعل جاء ابن سعود إلى بريدة ودخل قصر الإمارة وطلب من أتباعه أن يدخلوا إلى القصر على دفعات متظاهراً أمام أمير بريدة بأنه يجهز رجاله للذهاب لجمع الزكاة من بادية القصيم. ولما اكتمل دخول أتباع ابن سعود أغلقوا القصر وقبضوا على أمير بريدة وأتباعه وأرسلهم ليودعوا في سجن الرياض، وعيّن على إمارة بريدة محمد بن عبد الله أبا الخيل -ابن عم الأمير السابق-.

أما في حائل فقد تولى الإمارة متعب بن عبد العزيز آل رشيد بعد مقتل والده، وقد أراد أن يحسن علاقته مع ابن سعود، فقبل بأن تكون المناطق الواقعة إلى الشمال من القصيم تابعة لآل رشيد، وما عداها من أقاليم نجد تابعة لابن سعود. ولما رأت القوات العثمانية المقيمة في القصيم أن وجودها ليس له أية فائدة بعد هذا الاتفاق انسحبت إلى المدينة النبوية.

وبعد رحيل تلك القوات قام سلطان بن حمود العبيد آل رشيد بقتل الأمير متعب بن عبد العزيز والاستيلاء على إمارة حائل. ثم اتفق معه أمير بريدة في عام 1325هـ على أن يكون حليفاً له ضد ابن سعود بسبب ما فعله ابن سعود بان عمه صالح الحسن المهنا. في بداية الأمر رأى العقيلات -وهم أهل الحل والعقد في بريدة- أن هذا الاتفاق قد يصب في مصلحة تجارتهم المرتبطة بالعراق والشام ومصر. وقد ظنوا أن اتفاق أمراء بريدة وحائل سيحمي تجارتهم، خاصةً وأن قوافلهم تمر بالأراضي التابعة لآل رشيد الذين بدورهم سيغيرون على تلك القوافل في حال الحرب ويتركونها في حال السلم. ولكن ظن العقيلات لم يلبث إلا أن تبين أنه في غير محله حين أخذ سلطان الحمود قافلة لهم. ولما طلبوا من محمد العبد الله أبا الخيل أن يستعيد ما نهبه حليفه لم يفعل شيئاً. حينئذٍ أدرك العقيلات بأن البقاء تحت سلطة هذا الأمير والاستمرار بالتحالف مع أمير حائل سيؤدي إلى ضرر كبير يقع عليهم. فكتب لابن سعود أحد أمراء العقيلات يخبره عن عدم رضى أهل الحل والعقد عما يجري في بريدة ويطلب منه أن يأتي سراً. ولما وصل فتحوا له البوابة وحدثت مناوشات طفيفة بين أتباع ابن سعود وأتباع محمد العبد الله أبا الخيل قتل على أثرها عدد قليل من أتباع أمير بريدة، ثم أعطي الأمان على أن يغادر البلدة، وبذلك تكون قد دخلت بريدة فعلياً تحت طاعة ابن سعود في سنة 1326هـ.

**القلاقل السياسية في نجد**

شهد عام 1328هـ خروج عدد من أحفاد الإمام سعود بن فيصل على الإمام عبد العزيز، فاستولوا على الخرج. توجه إليهم ابن سعود، فغادروا إلى الحريق واستولوا عليه. وبينما ابن سعود على تلك الحال بلغه خبر وصول الشريف الحسين بن علي إلى القويعية، وكان ابن سعود قد أرسل أخاه سعد إلى قبيلة عتيبة لحثها على الانضمام إلى ابن سعود في غزوه أبناء عمه. فقبض الشريف حسين على سعد وأخذه معه، حيث اتجه إلى القصيم وراسل أهل عنيزة وحثهم على السمع والطاعة له مذكراً إياهم بعلاقاتهم المتينة مع أسلافه، لكنهم لم يجيبوه. فاشترى الشريف من عنيزة مؤناً دون أن يحقق أي نجاح سياسي في القصيم. أما ابن سعود فقد ترك حامية في الخرج قوامها أربع مئة رجل، وتوجه إلى القصيم. ولما وصل السر وجد قافلة الأطعمة التي اشتراها الشريف فأخذها وواصل سيره نحو الشريف حتى وصل إلى نِفِي. ومن هناك بعث برسالة إلى الشريف يطلب منه العودة إلى بلاده، كما بعث برسالة أخرى إلى أمير عتيبة محمد بن هندي مسؤولية قدوم الشريف إلى نجد والقبض على أخيه سعد. وبالفعل أظهر ابن هندي للشريف رغبته بالوصول إلى حل سلمي مع ابن سعود. فلما رأى الشريف أن أهل القصيم لم يظهروا له الطاعة وأن ابن هندي لا يظهر رغبة لقتال ابن سعود جنح إلى السلم. فأرسل الشريف خالد بن لؤي إلى ابن سعود ليعرض عليه شروطه التي كان من أهمها: أن يعترف ابن سعود بسيادة الدولة العثمانية، وأن يدفع مبلغاً من المال كل سنة عن إقليم القصيم، فقبل ابن سعود الشروط. فأطلق سراح سعد وعاد الشريف إلى الحجاز.

عاد ابن سعود مرةً أخرى إلى الحريق، وما أن وصلها حتى خرج من فيها لملاقاته، فدارت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار ابن سعود، فانسحب المنهزمون وتمكن ابن سعود من دخول البلدة. تفرق أحفاد الإمام سعود بن فيصل بعد ذلك، فمنهم من توجه إلى البحرين ومنهم من توجه إلى الحجاز. أما تركي بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل فقد لجأ إلى العجمان، فقاموا معه. فتوجه ابن سعود لقتالهم في الأحساء، وتمكن من الانتصار عليهم وقتل تركي بن عبد العزيز.

**المراجع:**

عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2: 83-131.